ديمقراطية شيخ الحركة الدستورية "جاسم المهلهل"!

بقلم الأستاذ؛ محمد المليفي

توطئة مهمة:

تفاجأت الحركة الإسلامية بدراسة عن الانتخابات الكويتية [لعام 1999] قام بكتابتها الشيخ جاسم المهلهل الياسين، وقام بنشرها بصفحته الأسبوعية "منتدى الفكر والحضارة" بجريدة الوطن الكويتية، وقد بدئها بفقرة عنونها "انتصار الشيخ العود"، فقمت بالرد عليه بزاويتي آنذاك "أطروحة اليوم" بجريدة الرأي العام، ومن باب الإنصاف فإننا نورد الفقرة الأولى من دراسة الدكتور المهلهل ثم نلحقه بردنا عليه، وننوه بأن ردنا هذا هو الأصل الذي لم يصبه مشرط الرقيب!

* * *

الفقرة الأولى من منتدى الفكر والحضارة الأسبوعي:

انتصار الديمقراطية في الكويت هو انتصار للشيخ العود، بقلم؛ الشيخ د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، 10/يوليو/1999.

انتصار الشيخ العود:

ليست الديمقراطية فراشا وثيرا يستريح فيه المسؤولون، ولا هي طريقا مفروشا بالرياحين والورود يسيرون فيه، ويشمون عبقة وأريحة، ولكنها ممارسة شاقة على من لم يروض نفسه على تحمل أعبائها، والثبات أمام صعوباتها، والصبر على ضراوتها وقسوة كلماتها وردودها، حين ترد لهذا المسؤول أو ذاك قرارا من القرارات أو تحاسبه حسابا عسيراً أما الملأ على بعض التصرفات كما حدث مع كلينتون ومونيكا.

إن للنظـــام الـــديمقراطي ضـــريبته إلـــتي يـــدفعها المسئولون، ولكنها ضريبة محبوبـة لـديهم لأنهـا تـدل علـى وعي وبصيرة وقدرة على ضبط النفس وقدرة ومهارة على تسـيير الأمـور لصـالح النـاس، واسـتيعاب آرائهـم ومعرفـة طموحاتهم والوقوف على انتقاداتهم ومحاولة إصلاح العوج إن وجد، أو رد الاتهام بالحسنى والبرهان.

والديمقراطيــة الكويتيــة تقــف فــي العــالم العربــي شامخة الرأس، عالية الذرا، يفتخر بها أبناء الكـويت جميعـا حاكمين ومحكومين، لأنها تعطي الحرية الحقة لكل صـاحب صوت انتخابي أن يختار من يشاء دون ضغط من هنا أو مـن هنــاك ودون تزويــر مــن أحــد، ودون تغييــر فــي صــناديق الانتخاب، ودون إلقاء بعض صـناديق الانتخـاب، ودون إلقـاء بعـض الصـناديق فـي الأنهـار أو فـي البحـار أو فـي جـوف النيران ودون أن يلحـق أي معـارض أذى، فـإن وقـع صـوته بالاعتراض خرج إلى بيته سالما لا يلحقه تهديد أو وعيـد، ولا يضمه بين جنبيه سجن أو معتقل.

وصـمام هـذه الديموقراطيـة هـم المسـئولون فـي الكويت، وفي مقدمتهم سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفظه الله لنا ورعـاه "الشـيخ العـود" الـذي اثبت من المهارة السياسـية والحنكـة الديمقراطيـة الكـثير الكثير فتحلى بالصبر وقت الضيق، والـتزام بالدسـتور رغـم الخلافات والمناوشات، وعامل الجميع معاملـة الأب لأبنـائه الذين قد يكون من بينهم المقصر في واجبه والمعتدي على حقوق أخيه.

وكانت هذه المعاملة بلسما نزل على سـاحة الكـويت فأبرز خمسين عضوا، وحسم الخلاف الذي كـان، واثبـت أن الكـويت لهـا الحـق أن تفخـر بنظامهـا وبقادتهـا وزعمائهـا وديمقراطيتها التي تظل وحيدة فريدة في عالمنـا العربـي، وبذلك انتصر أمير الكويت في هذه الجولة كمـا انتصـر مـن قبل في غيرها من الجولات، وانتصرت الكويت أمام العـالم كله، واثبتت أنها دولة ديمقراطية من الطراز الأول.

* * *

الرد:

لكل تجمع إسلامي منظم كـوادره النقابيـة والحركيـة والشرعية، والدكتور جاسم مهلهل الياسين يعتبر مـن أبـرز المشايخ الشـرعيين المـوجهين لأبنـاء الحركـة والمنظريـن لمسيرتها في المجتمع من خلال ترأسـه لأمـوالهم الخيريـة وتصدره للمحاضرات والكتابات، وهو جهد يشكر عليه.

ولكن المحزن في الأمر أن شـيخ الحركـة الدسـتورية صدم أبناء حركته وسائر أفراد وجماعات الاتجـاه الإسـلامي في الكويت، عندما كتب يتحدث عن مميزات الديمقراطيـة الكويتية فـي جريـدة الـوطن [10/7/1999] تحـت عنـوان "انتصـار الديمقراطيـة فـي الكـويت، هـو انتصـار للشـيخ العود"، ويعني بالشيخ العود؛ أي أمير البلاد.

جـاء فـي ثنايـا كلام شـيخ الحركـة أن: (الديمقراطيـة الكويتية يفخر بها أبناء الكويت جميعا حـاكمين ومحكـومين، لأنها تعطي الحرية الحقـة لكـل صـاحب صـوت انتخـابي أن يختـار مـن يشـاءون دون ضـغط...)، وختـم مقـدمته قـائلا: (وانتصـرت الكـويت أمـام العـالم كلـه، وأثبتـت أنهـا دولـة ديمقراطية من الطراز الأول).

كلمات الشيخ عن الديمقراطية بهذه الصورة المحزنة تـذكرني بالشـيخ الأزهـري رفاعـة الطهطـاوي عنـدما زار فرنسا وعاش بها مع البعثة المصرية الطلابيـة، ولكنـه رجـع بفكر ملفق عبر عنه فـي تجربتـه الـتي سـطرها فـي كتـابه "تلخيص الإبريز في وصف باريز".

ولا يسعني المجال الآن لتنـاول مفهـوم الديمقراطيـة والمنهج الصحيح في البحث عن جذورها الفلسفية وعلاقتها الوطيدة بالعلمانية ونتائجها المناقضة لأصـول الـدين فضـلا عن منطلقاتها الأساسية التي تصطدم بالعقيدة الإسلامية.

ولكن اكتفاء شيخ الحركـة بالثنـاء علـى الديمقراطيـة والوقوف على حروف ألفاظها وتزكيتها والتغزل بهـا وكأنهـا أصل شرعي وتنزيل سماوي وإذعان لله ورسوله، من غيـر تـوجيه وبحـث لأصـل نشـأتها وخلفيتهـا الفلسـفية ومـدى توافقها أو تناقضها مـع الشـريعة والعقيـدة الإسـلامية؛ يعـد تسطيحا وتهميشا وتذويبا في الطـرح لأعقـد مصـطلح غـزا مجتمعنا الإسلامي، كما يعد اختزالا مخلا يوقع فـي التلـبيس على أفراد الحركة ورقبائها ونقبائها وعموم المسلمين.

ومن أي الناس يا ترى؟

من شيخ شرعي له موقعة القيادي والتنظيري في الجماعة ودكتور في العقيدة!

وثمة تساؤلات نطرحها للتأمل في غمرة غياب العقلية النقدية للمتأثرين بالمفردات والمصطلحات الأوربية كـ "الحداثة" و "الديمقراطية" و "التقدمية"، وعلى رأسهم شيخ الحركة الدستورية.

هل يجوز شرعا أن يزكي المسلم الديمقراطية ويتغزل بها بهذا التعميم والحماسة أيا كان مجال تطبيقها؟

وأين الشيخ من فكر سيد قطب، الذي يردد أنه ممن قد تربى على كتاباته ودافع عنه بكل حماس كما في كتابه "للدعاة فقط"؟ علما بأن سيد رحمه الله ممن وقفوا بشدة ووضوح ضد مدرسة التلفيق والتغريب.

ثم كيف غاب عن الشيخ مهلهل دراسة المفكر والعالم د. محمد محمد حسين في كتابه "الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر"، وهو مرجع للإخوان المسلمين في تحذيره من مدرسة اذابه الإسلام في بوتقة المصطلحات الغربية.

أيعقل أن يكون كلام د. محمد عمارة - وهو الذي كان يساريا سابقا - اكثر وضوحا وموضوعية من كلام شيخ الحركة الدستورية حول الديمقراطية؟! انظر كلام عمارة عن الديمقراطية في كتابه "معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام".

* * *

وأخيرا:

هل بالفعل لم تمارس على الناخب الكويتي أي ضغوط في الانتخابات - كما ذكر الشيخ في مقالته -؟ إذا ماذا تسمى طغيان ظاهرة الرشاوى والتي ظللت الكويتيين وأثرت في نتائج الانتخابات بشهادة الجميع؟!

واضح أن الشيخ خلط بين التجربة البرلمانية ومفهوم الديمقراطية وأشياء لا يسع المقام لذكرها، وأنوه بأن الميوعة الفكرية لم تكن يوما من منهج الإمام حسن البنا

ولا من منهج سيد قطب رحمه الله الذي علقت رقبته من أجل "لا إله إلا الله"، فشتان والله ثم شتان بين الفكرين!

من عند النقطة التي قال فيها د. جاسم مهلهل: (وصمام هذه الديمقراطية...)، إلى قوله: (من الطراز الأول)، أتوجه بالسؤال إلى أبناء الصحوة عموما والإخوان المسلمين خصوصا - بعد ان نبتعد عن العواطف ونجعل المعيار والحكم هو الشرع والعقل - وأسألكم بالله؛

هل يليق بأقل فرد فينا داخل الحركة أو خارجها أن يكتب مثل هذا الكلام؟ فكيف إذا كان كاتبه هو رجل له مكانته وفضله؟! ألم يكن ينبغي على الشيخ أن يعف نفسه ودينه أن يسطر مثل هذا الكلام؟! ألم يقرأ الشيخ قوله تعالى: {ولا تركنوا...}.

ويكفيني أن أذكر دكتور العقيدة وشيخ الحركة الدستورية الإسلامية بقوله تعالى: {ستكتب شهادتهم ويسألون}.

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.

منبر التوحيد والجهاد

* * *

ten.esedqamla.www//:ptth
sw.dehwat.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
ten.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www